الهجوم الفضائي

محمود سالم

الهجوم الفضائي

تأليف
محمود سالم

هنداوي

الهجوم الفضائي

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٩٨٧ ٤

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
علامة استفهام كبيرة …	١١
ظواهر غير طبيعية …	١٥
الخطر الخفي …	١٩
السيارة العجيبة!	٢٣
الاستعانة بالقمر الصناعي …	٢٧
الانفجار!	٣١
العميل الفضائي!	٣٥
إتمام المهمة!	٣٩
المعركة الفاصلة!	٤٥

من هم الشياطين الـ «١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

علامة استفهام كبيرة ...

كان قرارًا جماعيًّا ... قرار السفر إلى الصحراء الغربية ... حيث المقرُّ السريُّ الكبيرُ ... وكانت الرغبة جماعية ... لم يتخلَّف عنها أحدٌ من الشياطين ...

وعندما أبلغوا رقم «صفر» بها ... رحَّب كثيرًا ... فمنذ وقتٍ طويل لم يلتقِ أعضاءُ الجماعة بقادة المنظمة ... ولم يطَّلعوا على ما سيحدث في معاملِ المقرِّ ولا في إدارته المختلفة من أحدث ما أنتجَته أكبرُ مراكز البحث العلمي في العالم.

وفي تمام الساعة الثامنة مساءً بتوقيت «القاهرة» ... انطلقَت سياراتهم عبرَ بوابةِ المقرِّ الفرعوني بميدان الرماية ... إلى طريق «الإسكندرية» الصحراوي ... الذي لم يَعُد صحراويًّا ... فعلى جانبَيه اصطفَّت المزارع والأبنية السكنية والصناعية ...

انطلقَت السيارات «اللاندكروزر» البيضاء الحديثة ... وعلى سطحها اللامع انعكسَت أنوارُ الكشافات العالية ... وبداخلها انطلقَت أجهزةُ الكاسيت الرقمية ... بموسيقى خفيفة ناعمة ... امتزجَت بأحاديث جادة وأخرى مرحة.

في الوقت الذي كانت فيه أجهزةُ الاتصال الحديثة تنقل ما يحدث في كل سيارة إلى السيارات الأخرى.

وبذا شعر الشياطين أنهم يجلسون معًا ... ولم تُفرِّقهم السيارات.

فقد تبادلوا عن طريقها النكات ... والآراء بلذات فيما طرحه عليهم «عثمان» من أنه يشمُّ رائحةَ عمليةٍ جديدة.

فليس من عادة القادة في المقرِّ المركزي أن يدعوهم لزيارته ... بل كانت تصدر منهم الأوامرُ للتوجُّه إليه لأغراضٍ كثيرة ... كلها كانت تخصُّ العمل.

وكان «أحمد» أيضًا يساوره نفسُ الشعور ... غير أنه كان حذرًا في التصريح بما شعر به.

إلا أنه اضطرَّ للكلام عندما وجد كلَّ الزملاء يتفقون على نفس الرأي ... وهو أنهم في طريقهم إلى المقرِّ المركزي ... من أجل تكليفهم بمهمة جديدة.

ولكن كان عليه أن يُناقشَهم أولًا ... في سبب هذا التصور.

فقال لهم متسائلًا: أولًا لماذا ننتقل إلى المقر السري المركزي لتلقِّي الأوامر بشأن المهمة الجديدة، وفي كل مهمة يتم تكليفنا من مكان تواجدنا.

ريما: نعم ... فعند وجودنا في مقرِّ الهرم ... يُعقد الاجتماع فيه ... ويتم تكليفنا وننطلق منه إلى موقع العملية.

وتساءل «عثمان» أيضًا قائلًا: ألم نتعلم أن كلَّ مكان نكون موجودين فيه ... هو قاعدة انطلاق لأيِّ عملية نُكلَّف بها؟

وشعرَت «إلهام» بالمأزق الذي وقع فيه زملاؤها ... فقد توقَّعوا وصدَّقوا توقعاتِهم ... فقالت لهم: لقد أصدرتم أحكامكم قبل أن تعرفوا الحقيقة!

وشعرَت «ريما» أنها على حقٍّ ... فسألَتها قائلة: ماذا تقصدين؟

واندفع «عثمان» يعرض وجهةَ نظرِ «إلهام» دون إذنٍ منها ... و«إلهام» تنظر له مندهشةً وهو يقول: تقصد «إلهام» أن كلَّ ما نقوله يحتمل الخطأ أكثر مما يحتمل الصواب ...

وحاولَت «إلهام» أن تظلَّ هادئة وهي تردُّ عليه قائلة: المهم أن هناك احتمالًا لخطأ وجهة نظرنا ... هذا من ناحية.

وكان «مصباح» منتظرًا أن يسمع أكثرَ من وجهةِ نظرٍ ... فقال لها يستحثُّها على الكلام: ومن الناحية الأخرى؟

إلهام: ماذا يضيرنا من أن يكون المقصود بدعوتنا ... هو تكليفنا بمهمة؟!

عثمان: لا ... لا ... هذا يضيرنا ... فقد كان من المفروض.

وهنا احتدَّت «إلهام» وهي تُقاطعه قائلةً: مفروض ماذا يا «عثمان» ... ومَن الذي يُحدِّد المفروض هذا؟

وشعر «أحمد» أن النقاش بينهم لن يصلَ إلى نتيجة فقاطعهم قائلًا: أولًا ... «إلهام» على حقٍّ في أن المفروض أن يحدث ألَّا نحدده نحن ... بل القيادة هي التي تُحدده.

عثمان: إننا نعمل تحت قيادة رقم «صفر».

أحمد: ورقم «صفر» يعمل تحت قيادتهم.

ساد الهدوءُ فجأة ... قبل أن يُعلِّق «عثمان» في هدوء قائلًا: هل ما تقوله صحيح؟

أحمد: بالطبع ... فنحن أعضاء في منظمةٍ ذات شأنٍ كبير.

كان الشياطين قد وصلوا إلى «الإسكندرية» وغادروها في طريقهم إلى «مطروح»؛ فطريقهم إلى الصحراء الغربية يمرُّ بمرسى مطروح.

وقبل الكيلو ٢٨ اتصلَت إدارةُ المقرِّ وأخبرَتهم أن طائرةً حربية سوف تنتظرهم في نقطة داخل الصحراء الغربية ... مسقطها عمودي على الطريق عند الكيلو ٢٨ والتوجه إلى هذه النقطة وانتظار باقي الأوامر.

وعند الكيلو ٢٨ انحرفَت سيارة «أحمد» ومن خلفها باقي السيارات عن الطريق وتوغَّلت داخل الصحراء في طريقٍ ضيقٍ يكاد يسعُ سيارةً واحدة.

ولم يكن ممهدًا ... لذا فقد سارَت السيارات خلف بعضها ببطء شديد.

ورغم إضاءةِ كشافاتِ كلِّ السيارات ... إلا أنها لم تكشف غيرَ أمتار قليلة أمامها، واستغرق قطعُ الخمسة كيلومترات من الطريق أكثرَ من ربع الساعة.

وأن المفروض في النهاية أن يجدوا الطائرة ... أن يروا كشافاتها تُغيِّر هذه الظلمة.

كان المنتظر أن يسمعوا صوتَ محركاتها ... وهدير مروحتها العملاقة تقطع صمت الليل.

إلا أنهم لم يجدوا شيئًا من هذا ... مع أنهم وصلوا قبل ميعادهم بدقائقَ محدودةٍ ... فهل يعني هذا أن الطائرة لم تَصِل بعدُ ... وماذا تُخبئ لهم هذه الطائرة؟

والتفتَ الشياطين بسياراتهم حول نقطة واحدة ثم أضاءوا كشافاتِها ... وأطفئوا محركاتِها وغادروها ... وقاموا بالجلوس على مقدماتها في حلقة ... انتظارًا لقدومها، ومرَّ الوقت ولم تأتِ ... والتفت الجميع إلى «أحمد» ... في انتظار ما سيُقرره في هذه الحالة ... للخروج من هذا الموقف ... إلا أنه لزم الصمت ... وقرَّر الجميع احترامًا لصمتِه أن يصمتوا هم أيضًا.

وكأنما الطبيعة حولهم ... كانت هي الأخرى في انتظارٍ وترقُّبٍ ... لما سيُسفر عنه هذا الانتظارُ الجماعيُّ ... فقد ساد الصمتُ أرجاءَ الصحراء ... ولم يقطعه غيرُ صفير الريح من بعيد ... وإن ظلَّ هذا الصفير يقترب شيئًا فشيئًا ... غير أنهم لاحظوا أن الهواءَ مستقرٌّ.

فمن أين يأتي هذا الصفير؟

ظواهر غير طبيعية ...

قد يكون الصفير لطائر أو ثعبان ... هذا ما قالَته «ريما» ... إلا أن «أحمد» لم يوافقها على رأيها ... فالفارق كبير بين الصفير الذي سمعوه ... وصفير الثعبان أو الطائر، ووضَّح لهم «أحمد» ذلك قائلًا: كيف لثعبان أن يتواجد في أكثر من مكان حولنا في وقت واحد.

إلهام: ماذا تقصد؟

أحمد: لقد سمعنا الصفير يأتينا من أكثر من مكان حولنا في وقت واحد ... ويتوقف أيضًا في وقت واحد ...

ريما: هذا يعني أن الصفير لم يكن لكائن واحد ...

مصباح: لا ... لا ... لقد كان صفيرًا واحدًا له تردُّدٌ واحدٌ ... وبدأ في لحظة واحدة ... وانتهى أيضًا في لحظة واحدة.

إلهام: تقصد أن هذا الصفير لكائن واحد.

أحمد: هذا إذا كان كائنًا.

ريما: أيمكن أن يكون لآلة؟

أحمد: بالطبع!

بو عمير: إنها الطائرة ... الطائرة قريبة منَّا ... ولكنها في وضع حرج.

وانتبه «أحمد» لَمَا في كلام «بو عمير» من منطق ... وقال له: تقصد أن الطائرة وقعَت في مخالب الطبيعة.

زبيدة: أو في مخالب وحشٍ رهيب.

عثمان: لا ... لا ... لا داعي للمبالغة في الخيال ... فما هو الوحش الذي يستطيع اقتناص طائرة؟

زبيدة: إنه وحشٌ آليٌّ.

لم يعجب «ريما» الخوض في هذا الحديث ... فقالت لهم: لقد افترضتم ... وصدَّقتم افتراضاتِكم ... وبعدتم عن التفكير المنطقي والمعقول.

زبيدة: أليست منطقةُ إطلاق الصواريخ وحشًا آليًّا لأنها تصطاد الطائرات؟

ريما: نعم.

زبيدة: هذا ما قصدته.

قيس: تقصدين أن صاروخًا أصاب الطائرة؟

زبيدة: نعم.

مصباح: كيف وهي طائرة مصرية تطير في أجواء «مصر»؟

زبيدة: هناك احتمالات للخطأ أليس كذلك؟

أحمد: نعم «يا زبيدة» ... ولكن هناك احتمالات قريبة مما تقولين ... ولكن أكثر معقولية.

زبيدة: وما هي؟

أحمد: أن تكون الطائرة قد هبطَت فوق لغمٍ.

تسمَّر الجميع في أماكنهم حينما سمعوا ما قاله «أحمد» ... غير مصدقين لهذا السيناريو وقطعَ صمْتَهم «عثمان» قائلًا وهو يقفز ويلوِّح: أي صواريخ وأي ألغام تتحدثون عنها أيها الزملاء الأعزاء؟ ... إننا حتى لم نسمع صوت انفجار إطار سيارة ... وكل الذي حدث أن الطائرة لم تأتِ في ميعادها ... ولم يتصل بنا أحدٌ ليُخبرنَا بتأجيل الميعاد أو إلغائه.

خالد: إذن الحل أن نتصل بالمقر لنسأل.

أحمد: ليس الآن. يجب أولًا أن نمسح المنطقةَ المحيطة بنا لنتأكد من أن حادثًا لم يقع.

وما كاد الشياطين يسمعون ذلك ... حتى هبطوا من فوق مقدمات سياراتهم التي كانوا يجلسون عليها ... وجروا يفتحون أبوابها ويجلسون خلف عجلات القيادة ... فصاح فيهم «أحمد» قائلًا: ماذا تفعلون؟

قيس: سنتحرك لنمسح المنطقة كما قلت!

أحمد: ليس بالسيارات.

إلهام: ماذا تقول؟

أحمد: أقول ... ليس بالسيارات ... بل سيرًا على الأقدام؛ فالمكان هنا غيرُ مُمهدٍ ... وقد نقابل رمالًا متحركةً لا تحتمل ثقلَ السيارات.

عثمان: أنا أرى أن نترك هنا الآنسات ونتحرك نحن.

ريما: ماذا ... ماذا تقول؟

عثمان: إنها مهمةٌ شاقةٌ يا «ريما» ... ولن تحتمليها ...

وكان هذا ما توقَّعت «ريما» أن يقول «عثمان» ... غير أنها تمالكَت نفسها وهي تردُّ عليه قائلةً: «أحمد» هو الذي سيُحدد مهمةَ كلِّ فردٍ فينا.

ونظر لها «أحمد» مبتسمًا وهو يقول: هل هناك خطرٌ سيُصيب السيارات إن تركناها وحدها حتى نعود؟

إلهام: قد تتعرض للسرقة.

أحمد: ممن؟

إلهام: من بعض الأعراب الخارجين على القانون.

أحمد: إذن البقاء لحماية السيارات ليس مهمةً سهلةً ... أو آمنة؟

ريما: بل إنها أخطر من مسح المنطقة.

أحمد: وأنا أعرف أنكِ قادرةٌ عليها ... ولكني أحتاجك معي.

وتخيَّر «أحمد» من المجموعة كلًّا من «قيس» و«بو عمير» و«خالد» للبقاء مع السيارات ... ثم قسَّم الآخرين إلى مجموعات ... تتخذ كلُّ مجموعة منهم اتجاهًا ... على أن يظلوا دائمًا على اتصال ببعضهم البعض ... بواسطة أجهزة اتصال متوسطة المدى ... مزودة بها نظاراتهم ... وهي نظارات تعمل بالأشعة تحت الحمراء ... تُمكنهم من الرؤية في الظلام وكالأشعة الصادرة من نقطة واحدة تفرقوا ... كلُّ اثنين في اتجاه ولم تمضِ ثوانٍ إلا وكان الظلام قد ابتلعهم.

وبعد مداولات سريعة بين «قيس» و«بو عمير» و«خالد» ... قرروا أن يُطفئوا كلَّ أنوار السيارات ... ويتسلَّقوا سطحَ إحداها ... ويجلسوا ظهورهم لبعضهم ... شاهرين أسلحتَهم تحسُّبًا لأيِّ هجومٍ أو محاولة سرقة.

وبعد دقائق من استقرارهم ... تذكَّر «قيس» أن هناك طائرةً تخلَّفَت عن موعدها وأنهم يشغلون موقع هبوطها فماذا لو أنها حضرَت الآن ... وعندما صرَّح لزميلَيه بما يدور في رأسه، قال له «بو عمير»: لم يَعُد هناك احتمالٌ لحضورها؛ فقد مرَّ أكثر من ساعة على ميعادها.

غير أن «خالد» كان له تصورٌ آخر؛ فقد قال لهما: لو أن هذا مهبطٌ سريٌّ للطائرات الحربية ... فنحن الآن في موقفٍ لا نُحسد عليه ... ومن الممكن أن نتعرض لمخاطر جمة!

قيس: هذا أيضًا دارَ في خاطري.
بو عمير: ليس أمامنا غير إبعاد السيارات عن المكان.
قيس: لا نستطيع عمل ذلك؟!

الخطر الخفي ...

إلى أعماق الصحراء سار الشياطين كلٌّ في اتجاه ... يبحثون عن مصدر الصفير الذي سمعوه يتكرر أكثر من مرة ...

وفجأة ومن أعماق الصحراء ...

سمعوا طنينًا خافتًا استمر للحظات ... ثم أخذ يعلو تدريجيًّا حتى كاد أن يصُمَّ آذانهم ... وتوقَّفوا جميعًا عن الحركة ... وجلس بعضُهم القرفصاء وهو يضع كفَّيه على أُذُنَيه من شدة الصوت ... حتى عاد إلى الخفوت مرةً أخرى ثم اختفى تمامًا.

وتملَّكَتهم جميعًا الحيرةُ وقاموا بالاتصال فيما بينهم ... غير أن اتصالهم لم يتمَّ.

ورغم المحاولات المتكررة ... لم يتمكنوا من الاتصال. ولم يبقَ أمامهم غير أن يعاودوا السيرَ مرةً أخرى.

غير أن «أحمد» لم ييأس ... وواصل المحاولةَ حتى استطاع أخيرًا التقاطَ صوتِ «عثمان» يقول له: أين أنت يا «أحمد»؟

أحمد: لقد توغلتُ بعضَ الشيء شمالَ شرق نقطة الانطلاق.

عثمان: وهل عثرتَ على شيء؟

أحمد: لا ... ولكن هل سمعت هذا الطنين المخيف؟

عثمان: نعم ... ولم أعرف مصدرَه.

أحمد: ولا أنا ... وأُفكر في التراجع.

عثمان: أهناك خطرٌ يُحدق بنا؟

أحمد: لا ... ولكن يجب أن نُكملَ طريقَنا إلى المقرِّ السريِّ.

عثمان: الطائرة؟

أحمد: إنها لن تأتيَ في ميعادها ... وغير مطلوب منَّا أن نبحث عنها.

عثمان: سأتصل بـ «قيس» ... ليقوم هو بالاتصال ببقية المجموعة ... ليُخبرَهم بأمر العودة.

وبعد ساعتين من قرار العودة ... كان الشياطين قد غادروا مهبطَ الطائرة.

وعادوا إلى الطريق الرئيسي ... في طريقهم إلى الممرِّ.

ومرةً أخرى سمعوا طنينًا عاليًا يصمُّ الآذان ... يأتي من أعماق الصحراء ... أعقبه صَفيرٌ متقطعٌ، تعطَّلَت معه كلُّ أجهزة الاتصال وأجهزة التوجيه الإلكترونية.

وفجأة ... مرقَت بجوارهم في سرعة رهيبة ... سيارةٌ رياضية فاخرة، فصاح «عثمان» قائلًا: لماذا لم تتأثر أجهزةُ هذه السيارة؟!

ريما: لأنها كانت على نفس سرعتها وقتَ انطلاق هذا الطنين.

عثمان: هذا احتمال؟

ريما: نعم.

عثمان: والاحتمال الآخر أن تكون هذه السيارة مُجهزةً لذلك ... وأثار «أحمد» ما يقوله فعلَّق قائلًا: مجهزةٌ لماذا؟

عثمان: لئلَّا يؤثر فيها هذا الطنين وما يُطلقه من موجات.

أحمد: لا علاقة لهذه السيارة بهذا الطنين.

عثمان: أنا أرى أن هناك علاقةً.

قال هذا وقفز داخل سيارته ... فربط حزام الأمان ... وأشار لهم بيده ... ثم انطلق في أثرها ... وسط دهشة زملائه.

ورأى «أحمد» أن الأمر يحتاج لأن يلحق به ... فلا يمكن أن يتركَه يُطارد هذه السيارة وحده.

فطلب من الشياطين أن يُكملوا طريقَهم إلى المقرِّ ... وبأقصى ما بالسيارة من سرعة ... انطلق ... لا يشغله إلا أن يلحق بـ «عثمان» الذي كان في قمة ثورته ... وهو يرى السيارة الرياضية ... تتحرك على الطريق كنقطة زرقاء ... تقفز في مهارة ... وشعر أنه تمكَّن منها ... وهناك أملٌ أن يلحق بها.

غير أن الحظَّ خانه ... وانفجر إطارُ سيارته الأمامي ... وبصعوبةٍ استطاع أن يسيطر على السيارة ... ويمنعها من أن تنقلب.

وعندما لحق به «أحمد» رآه يُشير له عن بُعد بأن يُكملَ طريقَه ولا يلتفت له.

وطلب «أحمد» من «إلهام» أن تتصل به، وعندما انطلقَت الموسيقى من تليفونه ... أجاب في لهفة قائلًا: أهلًا بـ «إلهام».

إلهام: ما الذي أثارك ودفعك للانطلاق بهذه السرعة؟

عثمان: الإنسان الآلي!

إلهام: ماذا تقول؟!

عثمان: السيارة الرياضية الفاخرة، هل رأيتها؟

إلهام: التي مرقَت بجوارنا؟

عثمان: لقد كان قائدها إنسانًا آليًّا.

إلهام: وكيف عرفت؟

عثمان: لم يكن له أنفٌ.

إلهام: كيف رأيته، لقد كان مُسرعًا للغاية؟

عثمان: وجهُه جامدٌ ... وليس له أنفٌ ... صدِّقيني لقد رأيته.

إلهام: ولماذا نُطارده؟

عثمان: هل ترَين أن الأمر لا يستحق؟

تردَّدَت «إلهام» قليلًا قبل أن تُجيبَه قائلةً: لا ... إنه يستحق.

ولحقه «أحمد» بسؤاله قائلًا: مَن الذي يستحقُّ ... ويستحقُّ ماذا؟

فقامَت بإخباره بما عرفَته من «عثمان»، فقال لها: إنه موضوعٌ يستحق الاهتمام.

وعن بُعد ... بدَت السيارة الرياضية كنقطة زرقاء ... تتحرك على الطريق يمينًا ويسارًا، وتظهر مرةً ... وتختفي أخرى ... مما أشعل حماسَ «أحمد»، فأطلق لسيارته العنانَ مُتشبثًا بعجلة القيادة بعد أن ربط هو و«إلهام» حزامَي الأمان.

وتحوَّلَت سيارتُه أيضًا إلى نقطة على الطريق تُشبه كرةَ الزئبق الصغيرة وهي تتدحرج يمينًا ويسارًا.

وبدأت النقطة الزرقاء تكبر شيئًا فشيئًا كلما اقترب منها ... وشعر بحماسه يزداد فنسيَ كلَّ قوانين المرور ... وكل مخاطر المجازفة ... وداس على بدَّال السرعة بلا حذرٍ ... وصرخ الهواء حول السيارة من هول سرعتها.

وصاحَت «إلهام» تُحذِّره قائلة: احذر يا «أحمد» ... إنها ليست السيارة الصاروخ ... «أحمد» ... ستُعرِّضنا لحادث مروع.

السيارة العجيبة!

أخذَت النقطةُ الزرقاء تكبر ... حتى تحوَّلَت إلى مستطيل بلا تفاصيل ... ثم بدأَت تفاصيلُه تظهر شيئًا فشيئًا، وشعر أن محاولاته ستنجح ... فها هو ذا يقترب من السيارة ... وبعد عدة دقائق سيتحقق مما يقوله «عثمان» ... بعد عدة دقائق سيرى الإنسان الآلي ... وها هي ذي السيارة الزرقاء تظهر ملامحُها ... إنها سيارة عجيبة ... إنها فاخرة وصغيرة «كالفراري» أغلى سيارة في العالم ... ولكن يبدو على مظهرها الخارجي أنها مصفحةٌ ... ومثبتٌ على سطحها طبقٌ يُشبه هوائي استقبال القنوات الفضائية ... وخطر له أن يستفيد من هذا الطبق ... فقال لـ «إلهام»: ألا ترَين هذا الطبق؟

إلهام: إنه لاستقبال إرسال الأقمار الصناعية.

أحمد: هل يتمُّ توجيه هذا الكائن عن طريق الأقمار الصناعية؟

إلهام: هذا إن كان إنسانًا آليًّا؟

أحمد: يبدو أنه اختراعٌ جبارٌ!

إلهام: حاذِر، إنه يبتعد عنك ... لقد اختفى.

صاح «أحمد» من فرط غيظه قائلًا: يا لَك من شيطان ... ماذا أفعل أكثر من هذا ... أنا أسيرُ بأقصى سرعة السيارة.

ورأَت «إلهام» أنه لم يُقصر فقالت له: إنها ليست سيارة عادية ... إنها آلة جهنمية ... وأنت فعلت أكثر من المستطاع.

ومرة أخرى ظهرَت عن بُعد النقطة الزرقاء تتحرك يمينًا ويسارًا ... فعقدَت الدهشةُ لسانَها للحظات.

وشعرَت «إلهام» بمدى خطورة ما يصنعه هذا المخلوق، فقالت له: لا تُطارده يا «أحمد» إنه ليس إنسانًا آليًّا.

أحمد: لا يوجد بشرٌ لديه هذه الإمكانيات!

إلهام: إنه ليس بشرًا أيضًا.

أحمد: ماذا تقصدين؟

إلهام: إنه كائن غير أرضي ... ويريد قتلنا!

أحمد: لو افترضنا أنه كائن غير أرضي كما تقولين ... فما علاقته بنا ... حتى يقومَ بقتلنا؟

إلهام: سيقتلنا لأننا نطارده.

وفي المرآة الجانبية ... ظهرَت عن بُعد نقطةٌ زرقاء أيضًا ... تتحرك يمينًا ويسارًا في براعة ... وما إن رآها حتى قال: هل النقطة الزرقاء أمامنا أم خلفنا؟

استدارَت «إلهام» إلى الخلف ... ثم عادَت تنظر أمامها ... فلم تجد لا هذه ولا تلك، فقالت له: لم يَعُد هناك نقطة زرقاء ...

أحمد: أُقسم أني رأيتها في المرآة الجانبية.

وتحيَّرَت «إلهام» فيما يقوله «أحمد» ... فعادَت إلى البحث من جديد ... فهالها ما رأَته ... وصاحَت تقول له: إنها خلفنا الآن يا «أحمد» ... كيف حدث ذلك؟

أحمد: إنه خداعٌ بصريٌّ.

إلهام: لا إنها نفس السيارة.

ألم أَقُل لك إنه مخلوقٌ غيرُ أرضيٍّ؟!

أحمد: «إلهام» ... انظري أمامك.

والتفتَت «إلهام» لترى النقطة الزرقاء ... وقد اقتربَت منهم وعادَت تبدو كالمستطيل الصغير ... فلم تُصدِّق نفسها ... ونظرَت في المرآة الأمامية فرأَت النقطة الزرقاء الخلفية وقد اقتربَت أيضًا وظهرَت كمستطيل ... فقالَت في حيرة: إنه ليس وحده.

أحمد: لا أظن يا «إلهام» ... قد يكون خداعًا بصريًّا ... فالإضاءة الصناعية تُرهق البصر ... ولا تنسَي أننا نُراقبه منذ فترة غير قصيرة.

وبدأَت السيارة الخلفية تقترب منهم ... وبدأَت ملامحها تتضح أكثر ولم تَعُد مجردَ مستطيل أزرق ... في الوقت الذي اختفَت فيه السيارة الأمامية تمامًا.

وانطلقَت الموسيقى الرقيقة من تليفون «إلهام» المحمول ... وعندما نظرَت إلى شاشته قالت له: إنه «عثمان».

ثم ضغطَت زرَّ الاستقبال ...

وقالت له: هاي «عثمان».

عثمان: أهلًا ... «إلهام» ... ما الأخبار؟

إلهام: لقد اختفَت السيارة التي نُطاردها ... وظهرَت أخرى خلفنا ... وزرقاء أيضًا.

ضحك «عثمان» وهو يقول: إنها سيارتي ... واسمحوا لي. واقتربَت منهم سيارة «عثمان» بسرعة ... حتى رأوه يسير بجوارهم ثم يتخطاهم ... وهو يقول: هناك عطلٌ في سيارتكم غيرُ واضحٍ.

إلهام: كيف عرفت؟

عثمان: كم سرعتكم الآن؟

إلهام: مائة وخمسون كيلومترًا.

عثمان: هذا ما يُخبركم به عدادُ السرعة. أما الحقيقة فغير ذلك.

إلهام: ماذا تقصد؟

عثمان: إن سرعتَكم لا تتجاوز مائةً وعشرة كيلومترات.

وحين أخبرَت «أحمد» بذلك قال لها: والآن عرفت لماذا لا أستطيع اللحاق بهذا المخلوق.

إلهام: حتى «عثمان» لم يَعُد يبدو منه إلا نفس النقطة الزرقاء.

وكما اختفَت السيارة الرياضية ... اختفَت أيضًا سيارة «عثمان» ... وفي المرآة الأمامية شاهد أسراب سيارات الشياطين تقترب منهم ... ولم يَعُد لديهم حلٌّ ... إلا التوقف ... والبحث عن سبب هبوط سرعة السيارة والعُطل الذي أصاب عدادَ السرعة.

وما إن رأى «مصباح» سيارةَ «أحمد» تُوقَف على يمين الطريق ... و«إلهام» تغادرها حتى توقَّف خلفهم وسألهم بما حدث ... وطلب منه «أحمد» أن يعاونَه في إصلاحها ... فرفض ...

الاستعانة بالقمر الصناعي …

رغم انطلاق «عثمان» بأقصى ما في سيارته من سرعة … ورغم مرورِ أكثر من نصف الساعة … إلا أنه لم يقابل سيارة الإنسان الآلي حتى الآن.

والغريب أنه سمع الصفير ينطلق مرةً أخرى ضعيفًا … ومتقطعًا … أعقبه طنينٌ عالٍ … جعله يُغلق زجاج السيارة … ويقوم بالاتصال بـ «أحمد».

وعلى الطريق … انطلقَت الموسيقى من تليفون «أحمد» وعرَف أنه «عثمان»، فتلقَّى اتصالًا قائلًا: أين أنت الآن «يا عثمان»؟

عثمان: لقد اقتربتُ من «مرسى مطروح» ألا زلتَ بعيدًا عني؟

أحمد: لا … فقد اقتربتُ أيضًا … ولكن أسمعُ صفيرًا وطنينًا!

عثمان: لقد اتصلتُ بك من أجلهم …

أحمد: إنني أشعر أن هذا الطنين لمركبة تخترق الغلاف الجوي …

عثمان: تقصد مركبة فضائية؟

أحمد: تقريبًا.

عثمان: والصفير؟

أحمد: إنه نداءٌ لكائنٍ فضائيٍّ تائهٍ.

عثمان: أيمكن أن يكون صاحب السيارة الزرقاء؟

أحمد: ولِمَ لا؟

عثمان: إذن فهو لا يزال على الطريق؟

أحمد: أعتقد ذلك.

عثمان: سألحق به.

أحمد: قد لا يمكننا ذلك بالأسلوب العادي.

عثمان: لماذا؟

أحمد: لأنني أعتقد أنه لا يقود سيارة عادية.

عثمان: تقصد مركبة فضائية؟

أحمد: نعم ... إنه حين يختفي عن الأنظار يطير بها.

عثمان: ويسير على الطريق إذا كان مُراقبًا؟

أحمد: نعم ... ولديه طبعًا الوسائل الكافية لكي يعرف أين نحن.

عثمان: ونحن أيضًا لدينا الوسائل التي تُعيننا على مراقبته دون أن يرانا ...

أحمد: تقصد القمرَ الصناعي الخاصَّ بالمنظمة؟

عثمان: نعم.

أحمد: إنه يحتاج إلى ترتيبات خاصة.

عثمان: أرجو أن تقوم بها ...

ورغم أنه يرى صعوبةً في ذلك ... إلا أنه وافق على الاستعانة بقمر المنظمة الصناعي ... فترك لـ «إلهام» عجلةَ القيادة ... وجلس هو أمام الكمبيوتر الملحق بتابلوه السيارة ... فقام بإدارته ... والدخول على شبكة الاتصالات الخاصة بالمنظمة ... ثم أدخل كودَ مفتاح شبكة التحكم في قنوات القمر الصناعي ... وبعدها بدأ يمسح منطقةَ الصحراء الغربية ... بالموجات الرادارية بحثًا عن السيارة الزرقاء وعن المركبة الفضائية ... فلم يَصِل إلى النتيجة التي كان ينتظرها هو و«عثمان».

فقام بالاتصال به وقال له: «عثمان»: لم نَصِل لشيء.

عثمان: هل استعنتَ بالقمر الصناعي؟

أحمد: نعم ... وقام بمسح منطقة الصحراء الغربية كلها.

عثمان: ألم يقدِّم لك تفسيرًا للصفير الذي تسمعه، أو الطنين؟

وفجأةً صاح «عثمان» قائلًا: «أحمد» هناك مركبة هائلة ... فضية اللون ... تنقضُّ عليَّ من الفضاء!

أحمد: أنا لا أرى شيئًا على الشاشة عندي!

عثمان: «أحمد» ... لقد اقتربت كثيرًا ... إن كشافاتِها تُغيِّر ظلمةَ ليل الصحراء، إنها كائن رائع.

أحمد: ما بك يا «عثمان» ... هل وقعت تحت تأثير جاذبيتها؟

وانتظر أن يُجيبَه ... فلم يفعل ... فكرَّر نداءه ... ثم قام بالاتصال به عبر ساعته ... فلم يَصِل لنتيجة.

ووسط محاولاته ... سمع بعضَ الأصوات تأتيه من تليفونه المحمول ... ثم بعض الأحرف المتناثرة والتي لم يفهم منها شيئًا ... وعرَف أنه لا يزال يحاول الاتصال به ... فقام بالاتصال بزملائه ... وطلب منهم أن يحاولوا الاتصال بـ «عثمان» على تليفونه المحمول ... أو على ساعته.

ثم قام بالاتصال بالمقرِّ السريِّ الكبير ... إلا أن الاتصال انقطع قبل أن يُجيبَه أحدٌ من المقرِّ ...

وعن بُعد ... رأى جسمًا فضيًّا هائلًا يضيء سماء المنطقة ... ويُحيل ليلَ الصحراء إلى نهار ... فقال لـ «إلهام»: هل ترَين ما أرى؟

إلهام: إنه شيء مذهل.

أحمد: لقد كان «عثمان» على حق ...

إلهام: وما العمل الآن؟

أحمد: يجب أن نتوقف لنُقرِّرَ ما يمكن عمله ... قبل الوصول إلى هناك.

إلهام: و«عثمان» ... إنه يحتاج لإغاثة الآن.

أحمد: لن نستطيعَ إغاثتَه من هناك.

إلهام: ماذا تقصد؟

أحمد: سنُواجه هذا الشيء بما لدينا من تكنولوجيا.

إلهام: أي تكنولوجيا؟

أحمد: الأقمار الصناعية ...

إلهام: وهل سيواجه القمر الصناعي هذا الشيء؟

أحمد: سأُحيطه بفيض من الموجات المختلفة الطول والتردد.

إلهام: وماذا ستفعل هذه الموجات؟!

أحمد: ستُصيب أجهزةَ التوجيه بالاضطراب ... وستجعل قادتها يتخبطون.

إلهام: قد يُثيرهم هذا ويدفعهم لمهاجمتنا بأسلحة لا نعرفها ... ولا نعرف كيف نحمي أنفسنا منها.

أحمد: حتى الأسلحة يا «إلهام» تحتاج إلى توجيهٍ ... وسيُصيبها الاضطرابُ كباقي أجهزتها.

إلهام: قد تكون مجهزةً بحيث لا تتأثر بالموجات الخارجية.

أحمد: ليس لنا حيلةٌ غير هذه وعلينا أن نُجرِّب.

إلهام: إذن توقَّف وجرب.

أحمد: أنا أحاول منذ فترة ... والسيارة لا تستجيب.

إلهام: ماذا تقول؟

الانفجار!

إنَّ كلَّ أجهزةِ توجيهِ السيارة تعمل إلكترونيًّا ... ولن يصيبَها عطبٌ إلا فيضٌ موجيٌّ ... كالذي فكر «أحمد» في مهاجمة المركبة الفضائية به.

هذا ما فَهِمه ... وما فهمَته «إلهام» أيضًا التي قالت له: لقد فكروا بنفس طريقتك!

أحمد: ماذا تقصدين؟

إلهام: لقد هاجموك بمولد موجات.

أحمد: إنهم لم يشعروا بوجودنا بعد.

إلهام: وما أدراك؟

أحمد: إننا بعيدون عنهم ... وهم الآن مشغولون بـ «عثمان».

إلهام: إننا قريبون منهم جدًّا ...

أحمد: ألم أقُل لك إنهم لا يقصدوننا؟

إلهام: كيف عرفت؟

أحمد: إن المركبة محاطةٌ بفيض من الموجات ... تصنع حولها درعًا إلكترونيًّا لا تخترقه موجاتُ الرادار ... بل يقوم بامتصاصها.

إلهام: ألهذا لم يكتشفها القمر الصناعي؟

أحمد: نعم ... ولم تكتشفها أيضًا كلُّ أجهزة الرادار التي تحمي سماءَنا.

إلهام: ألم تستطع إيقافَ السيارة بعدُ ...

أحمد: ليس أمامنا إلا القفز منها ...

إلهام: لماذا لا تُعطل أجهزة التوجيه؟

أحمد: إنها فكرةٌ تستحق التأمل، ولكن كيف؟

إلهام: اقطع عنها مصدر الطاقة.

أحمد: عليك أنتِ بفعل هذا ... حتى لا أنشغلَ عن عجلة القيادة ...

وأخرجَت «إلهام» أحدَ أسلحتها الخاصة ... وفقدَت السيارةُ فجأةً سرعتَها على الطريق ... وأخذَت في التوقف تدريجيًّا ... حتى توقَّفَت تمامًا.

لم يمضِ وقتٌ طويل ... إلا وظهرَت عن بُعد سياراتُ بقية المجموعة.

وفي الوقت نفسه ارتفع صوتُ انفجارٍ رهيب ... ملأ أرجاء الصحراء.

وشاهد الجميعُ عن بُعد المركبةَ الفضية تصعد لأعلى وتغادر المكان.

وتوقَّفَت كلُّ السيارات خلف سيارة «أحمد» ... وغادرها الشياطين ... والتفُّوا حوله يسألونه عما حدث.

وبعد عقدِ اجتماعٍ قصير ... عاونه الجميعُ في إصلاح سيارته ... وانطلقوا إلى موقع الانفجار ليعرفوا نتيجةَ ما حدث ... وبداخلِ كلٍّ منهم أمنيةٌ ... هي أن يجدوا «عثمان» بخير ... وألَّا تكون السيارة التي انفجرَت هي سيارته.

وقبل موقع الانفجار بمسافة ... وجدوا بعضَ شظايا جسم السيارة متناثرةً على الطريق ... وعلى بُعد أمتار منها وجدوا عجلةَ القيادة ... وتليفون «عثمان» المحمول متفحمًا تمامًا ...

وبدأ القلق يتملَّكُهم ... فغادر بعضُهم السيارات ... وجروا يبحثون يمينًا ويسارًا عمَّا يدلُّهم على حقيقة موقف «عثمان» الآن.

إن حالة السيارة لا تدلُّ على أن مَن كان بها قد نجا ... أو أنه على قيد الحياة ومجروح ... لا ... إن حالتها لا تُبشِّر بخير.

ولم يَعُد لديهم أملٌ إلا في أن يكون قد غادر السيارة ... قبل أن تنفجر.

واستبعد «أحمد» هذا الاحتمال ... فمَن فجروا السيارة ... لن يتركوه يهرب؛ فلو كان حقًّا قد غادرها ... فمن المؤكد أنهم قتلوه ... أو وقع في أيديهم ...

وكلا الاحتمالَين قاسٍ جدًّا ...

وليس أمامهم إلا أن يُثبتوا ذلك أو عكسه.

وتحوَّلَت الصحراء إلى خلية عمل ... فكلٌّ منهم يحمل كشافًا يضيء به جنباتِ الطريق بحثًا عن آثارِ دمٍ أو شظايا جسمٍ بشريٍّ ... إلا أنهم — ولحسن حظِّهم — لم يجدوا دليلًا على ذلك في كلِّ حطام السيارة الذي جمعوه على مدى ساعتين ... وقد استنفد منهم ذلك كثيرًا من الطاقة ... وأوشك الليل على الرحيل ... وكأنما الأفكار السوداء التي انتابَتهم ... هي التي أوشكَت على الرحيل.

فقد زال أسوأ الاحتمالات ... ولم يبقَ غيرُ احتمال اختطافه، فهل يمكنهم إثباته أو إثبات عكسه.

كان الإجهاد قد تمكَّن منهم ... فاتفقوا على أن يتناوبوا النومَ لمدة ساعة لكل مجموعة، على أن يُقسموا أنفسَهم إلى مجموعتَين.

ولم يُلاقِ هذا الاتفاقُ استحسانَ البعض ... فقد كان الجوعُ قد تمكَّن منهم وطلبوا قبل النوم العشاء ... فما كان من «ريما» إلا أن قالت: أتعرفون لو كان «عثمان» هنا ... ماذا سيكون رأيه؟

زبيدة: أنا أعرف ... هل أقول؟

ريما: نعم.

زبيدة: كان سيقول ... مَن يريد النوم ينام ... ومَن يريد العشاء فلينتظر.

إلهام: إنها طريقة «عثمان» في التفكير بالفعل.

أحمد: ترى هل هو بخير؟

ورسم هذا السؤالُ على وجوه الشياطين انطباعَ التساؤل والرجاء والقلق، ورأَت «إلهام» أنها لا ترغب في النوم ... كذلك «أحمد» فقامَا إلى سيارتهما يُحضران ما بثلاجتها ... كذلك «مصباح» و«قيس» ... ونام بقيتُهم بين السيارات.

وعلى مقدمة إحداها ... استند أحمد وبجواره «إلهام» وعلى مؤخرة سيارة أخرى استند «مصباح» و«قيس» ... وفيما بينهما وضعت أكواب الشاي وبجوارها ما أعدَّه لهم المقرُّ من ساندويتشات.

وانتظر «أحمد» حتى فرغوا من طعامهم ... ثم قال لهم: ما الذي حدث لنا منذ أن غادرنا المقرَّ حتى الآن؟

انتظرَت «إلهام» أن يتكلم أحدهم ... فلم يحدث ... فقد كانوا يحبُّون أن يسمعوها وهي تحكي ... فقالت لهم: لقد دعانا المقرُّ المركزي لزيارته في الصحراء الغربية.

فعقَّب «أحمد» قائلًا: وقد وافق رقم «صفر» على ذلك.

إلهام: وقد كانت الدعوة لنا جميعًا.

وهنا عقَّب «قيس» قائلًا: وهذا ما يحدث لأول مرة.

وبصوت ملأه التأمل قال «أحمد»: إن الدعوة لم يكن الغرض منها الزيارة.

وهنا صاح الجميع في صوت واحد: فما كان الغرض منها إذن؟

العميل الفضائي!

رأى «أحمد» أن ما حدث لم يكن من قبيل المصادفة ... وأن هذه الأحداث التي مروا بها ... لم تكن من قبيل المصادفة ... وأن هذا الكائن الفضائي موجود على الأرض منذ فترة زمنية إن لم تكن طويلة ... فهي لا تقلُّ عن أيام ... أيضًا هذه المركبة الفضائية قد زارت الأرض قبل هذه المرة ... فلا يمكن لهذا الكائن أن يأتيَ وحده ... وقد أثار هذا الكلامُ خيالَ الشياطين الساهرين معه حتى إن «إلهام» علَّقَت بقولها: تقصد أن هذه المركبة حضرَت إلى الأرض في مهمة ... وحضر معها هذا الكائن كما يسافر زوار الفضاء في مهام إلى الكواكب الأخرى.

أحمد: نعم.

هذا يعني أن لهذا الرائد مهمةً معينة في الصحراء الغربية عليه إتمامها، ثم العودة مرة أخرى مع هذه المركبة؟

أحمد: تمامًا!

إلهام: إذن ما علاقةُ المقرِّ السريِّ أو المنظمة بكل هذا؟

أحمد: أنسيتَ أنهم أبلغونا أن طائرة حربية سوف تحملنا عند الكيلو ٢٨.

إلهام: لم أنسَ.

أحمد: هل حضرت؟

إلهام: لا أرى لهذا علاقة بالأمر أيضًا.

وهنا تحمَّس «قيس» لفكرة «أحمد»، وقال: لقد سمعنا هناك صوتَ الصفير المتقطع ... والطنين العالي الذي يصمُّ الآذانَ ... وبدأت الخطوط تتضح لـ «مصباح» ... الذي قال مُعلِّقًا: ألم يكن هذا صوت المركبة الفضائية؟

أحمد: نعم هي ... وكانت هذه أول مرة نسمعه فيها.

إلهام: إذن اشرح لنا سيناريو كاملًا عن علاقة المنظمة بهذا الأمر.

أحمد: لقد عثر العاملون في المقرِّ المركزي على هذا الكائن ... وأخضعه علماءُ المقرِّ لاختبارات كثيرة ... ولكنه بطريقةٍ ما استطاع أن يفرَّ منهم ... وفعلوا ما بوسعهم ... فلم يتمكنوا من الوصول إليه ... فأرسلوا لنا يستدعوننا دون أن نعلم عن الأمر شيئًا ... حتى يظلَّ هذا الموضوعُ سريًّا.

إلهام: وهل كانوا سينتظرون وصولَنا إلى المقرِّ ثم يكلفوننا بالمهمة في سرية بالغة؟

أحمد: نعم ... ولكن المصادفة وحدها جعلَتنا نبدأ المهمة مبكرًا ...

قيس: سيناريو معقول جدًّا ولم يبقَ أمامنا غير «عثمان».

لفَّ الصمتُ الجميعَ ... ومنهم مَن انشغل برشف ما تبقَّى من كوب الشاي ... ومنهم مَن انشغل بالرسم في الرمال بخنجره.

ولم يُعجِب «أحمد» هذا الصمت. ولم تُعجبْه هذه الروح؛ فهم كمحاربين عليهم توقُّعُ كلِّ شيء ... وعليهم تقبُّلُ كلِّ النتائج أيًّا كانت بروح المحارب ... وبرضاء الجندي.

وهم يعرفون ذلك جيدًا ... إلا أن فقْدَ «عثمان» ليس بالأمر الهين ... وهنا قال لهم: مَن الذي قال لكم إننا فقدنا «عثمان».

ونفض الجميعُ رءوسَهم ... وهم غيرُ مصدقين لهذه اللهجة الجديدة.

وقالَت له «إلهام» تذكرُه: أنت الذي قلت هذا يا «أحمد»!

ولم يُنكر أنه قال هذا ... بل أكَّد ذلك قائلًا: لقد قلتُه في لحظةٍ ... كانت مواجهة الخطر فيها تحتاج إلى تركيزِ ذهنٍ. وإلى روح قتالية، فإذا انشغلنا ب«عثمان» لن نستطيعَ أن نصفوَ لهذه اللحظة ونُواجهها بما يستحقُّها.

وفي نبرةِ أملٍ سأله «قيس» قائلًا: أتقصد أن «عثمان» لا يزال على قيد الحياة؟

أحمد: لو كنَّا نفهم «عثمان» جيدًا لعلمنا الآن أين هو.

مصباح: وهل تعرف أنت؟

أحمد: إنه هاربٌ في الصحراء ... وعلينا أن نعثرَ عليه.

ومن قلب الظلام ... لمح «مصباح» شبحًا يتحرك ... فانتفض واقفًا ويدُه على مسدسه، وما إن لمحه يقترب حتى سحب أمانَ المسدس ووضع إصبعَه على الزناد، وصاح فيه قائلًا: مَن أنت؟

ولم يُجبْه ... وظلَّ يتقدم خطوةً بخطوةٍ ... و«مصباح» يصيح فيه: مَن أنت؟

وأثار صمتُه أعصابَ «مصباح»، فأطلق رصاصة في الهواء ... جعلَت الشبحَ يصيح قائلًا: وماذا تفعل يا «مصباح»؟

وعرَف من صوته أنه «رشيد»، فقال له: لماذا لم تُجبني؟

وفي غيظٍ قال له «رشيد»: لقد شعرتُ بحركة غريبة ... وكنت أراقبها عن بُعد لأعرف مصدرها.

أحمد: قد يكون حيوانًا بريًّا ...

رشيد: ولماذا لا يكون الكائن الفضائي؟

إلهام: يا «رشيد» الكائن الفضائي ليس بهذه السذاجة!

رشيد: إذن فهو «عثمان».

وهنا صاح فيه «أحمد» قائلًا: ما بك يا «رشيد» ... ألا زلتَ نائمًا؟

رشيد: لقد كنت مرهقًا جدًّا ... إلا أن الأحلام المزعجة أيقظَتني ... وكذلك قلقي على «عثمان».

ورأى «أحمد» أن يُطمئنَه عليه، فقال له: «عثمان» بخير ...

وفي بهجة ودهشة سأله قائلًا: حقًّا يا «أحمد» ... وكيف عرفت؟

أحمد: ستعرفون جميعًا قريبًا ... ولكن الآن، هل يمكنني الاعتماد عليك؟

رشيد: طبعًا، ولكن في ماذا؟

أحمد: سنتركك لحراسة المجموعة ... وسنخرج نحن إلى الصحراء.

رشيد: للبحث عن «عثمان»!

واستيقظ «رشيد» من نومه تمامًا، وقال له: أنت لم تعرف عنه شيئًا بعد ... ولكنك تعرف أسلوب تفكيره.

أحمد: أنت الآن في كامل يقظتك.

إتمام المهمة!

كانت أصابعُ النهار قد بدأَت تُزيح ستارةَ الليل عن وجه الصحراء ... وتقلب الضوء على الرمال ... ما بين منكسرٍ ... وخافتٍ ... وواضحٍ ... فتبدو هنا بعضُ الشجيرات المكسوة بالأشواك ... وهناك بعض الأفرع العارية من الأوراق، والملتفَّة على جذع نحيف قصير.

ورغم الصيفِ وحرِّه ... كانت نسماتُ الفجر باردةً ... وفي السماء بعض أكوام السحاب تسير في تثاقل ... ومثلها كانت السيارة «اللاندكروزر» التي يستقلُّها الشياطين تتحرك على مهلٍ ... فلم يكن المطلوب أن تقطع الصحراء وتعود ... بل كان المقصود ... أن تمسحَ الصحراء شبرًا شبرًا ... كان المقصود هو البحث عن «عثمان» ... وفي نفس الوقت إتمام المهمة التي لم يُكلَّفوا بها بعدُ ... وهي العثور على المخلوق الفضائي ... وقد كان «أحمد» على يقينٍ من أن المنظمة على علم بهذا الأمر ... غير أنه لم يشأ أن يضعَ قادتَه في موضع اللوم أو العتاب ... فقرَّرَ أن يتمَّ الأمرُ وحده ... دون أن يتصلَ بهم ويسألهم.

ومثل السيارة والسحاب. كان هناك مخلوق آخر يسير على مهلٍ بجوار السيارة ... مخلوق لم يتوقع أحد أن يراه في هذا المكان. إنه ملكُ الغابة ... ولكن ما الذي أتى به إلى هنا ... وكيف يعيش ... وعلى ماذا يتغذَّى؟

كلُّ هذه الأسئلة يطرحها الشياطين على بعضهم ... غيرَ أن «مصباح» ... وهو ليبيٌّ ويعرف عن الصحراء الغربية الكثيرَ، قال لهم: الصحراء الغربية غنيةٌ بالحياة البرية ... وبها غزلان وضباع وأُسود وصقور من نوع نادر وثمين ... وغيره الكثير.

ولم تكن «إلهام» مشغولةً بما تزخر به الصحراء ... بل كانت مشغولةً بذلك الأسد السائر بجوارهم ...

فهي ترى أنه يبحث عن إفطاره ... ولو كان قد فرَّ حيًّا من المركبة الفضائية فهل سيمكنه الفرار حيًّا من هذه الوحوش؟

ورغم ذلك ... ظل «أحمد» على يقينه من أن «عثمان» بخير ... وأخذ يذكرها بضياعه قبل ذلك في غابات «زيمبابوي» ... وقد كانت أشدَ خطورةً من هذه الصحراء.

فقال لها يذكِّرها: أتذكرين يا «إلهام» عمليةَ «رأس الأفعى».

نظرَت له «إلهام» وعلى وجهها ابتسامةٌ واسعة وكأنها وجدَت «عثمان».

فالموقف الذي كان فيه في غابات «زيمبابوي» كان أكثرَ صعوبةً من موقفه في هذه الصحراء ... بل ليس هناك وجهٌ للمقارنة.

ولكي يُخرجَها من شرودها قال لها يُذكِّرها مرةً أخرى: أتذكرين كم حيوانًا هاجمنا ... وكيف ضِعْنا في هذه الغابة ... وها نحن هنا الآن نتذكرها كروايةٍ شيقةٍ ... لا كأحداثٍ عشناها.

ومرة أخرى عادَت تنظر للأسد السائر بجوار السيارة ... في انتظار فريسة سهلة ... قد تخرج بين لحظة وأخرى ...

وفي لحظةٍ انتقلَت بعينها إلى الأرض التي يسير عليها الأسد ... فرأَت آثارَ عجلات سيارة ... فقالت لـ «أحمد»: هل من الطبيعي أن تدخل هنا سيارات؟

لم يفهم المقصود من السؤال ... ولكنه أجاب قائلًا: ليس من الغريب ... ولكن من النادر ... فالسائر على الطريق يقصد «مرسى مطروح» المدينة والبحر ... لا يقصد الصحراء ...

إلهام: إذن فلمَن هذه الآثار؟

وعندما نظر «أحمد» إلى ما تُشير قال لها: إنها آثارٌ حديثةٌ ... لم يمرَّ عليها غيرُ ساعات معدودة.

وتحقَّق «مصباح» من الآثار ثم قال: السيارة التي صنعَت هذه الآثار ... مرَّت هنا وقتَ وقوع الانفجار وهي سيارة غير عادية ... ولها إطاراتٌ جارحة.

إلهام: وما هي الإطارات الجارحة؟

قيس: إنها إطاراتٌ ذات سيور تتكوَّن من أظافر صلبة ... لتُمكِّنَها من السير على الأرض اللينة ... والرملية في آنٍ واحدٍ.

أحمد: وليس لهذه التربة مثيلٌ على الأرض.

إلهام: تقصدون أنها سيارة المخلوق الفضائي.

أحمد: نعم!

وفي هذه اللحظة بدرَ إلى ذهنِ «إلهام» سؤالٌ كان يشغلها ... ولكنها انشغلَت عنه بالأحداث ... فقالت لـ «أحمد»: ألم تفكر كيف انفجرَت سيارةُ «عثمان»؟

وكأن «أحمد» لم يكن جاهزًا لهذا السؤال؛ فقد جحظَت عيناه وهو يبحث عن إجابة ... وأخيرًا قال لها: إن الأدلة التي جمعتها ... لم تدلَّ على إصابة السيارة بقذيفة وصاروخ أو حتى شعاع ليزر.

مصباح: ولكن تنك البنزين هو سببُ الانفجار ... فكيف انفجر التنك؟

أحمد: الاحتمال الوحيد ... أن يكون قد تعرَّض لضغطٍ هائلٍ.

إلهام: تقصد أنه أحدُ أسلحة الكائنات الفضائية؟

أحمد: قد يكون ذلك ... أو قد يكون سبب فيض الموجات الذي كان يحيط بمركبتهم.

إلهام: وهل سنتبع آثار السيارة؟

أحمد: بالطبع ... لنرى إلى أين سيقودنا.

وعند واحة صغيرة ... بجوارِ نبعِ ماءٍ تُحيطه بعضُ الأشجار ... وتغطِّي جوانبَه النباتاتُ ... وجدوا سيدةً بدويةً ... تغطِّي وجهَها ... وتقوم بقطع بعض النباتات ... فطلب «أحمد» من «إلهام» أن تسألها إن كانت قد رأَت السيارة؟

ولم تنتظر حتى يُتمَّ كلامه ... بل أخرجَت رأسَها من نافذة السيارة ... وألقَت على المرأة التحية ... ولكنها لم تردَّ ... فسألَتها إن كانت قد رأَت السيارة ... فلم تلتفت لها ... ولم ترَ «إلهام» وجهها إلا في آخر لحظة ... عندما ابتعدَت السيارةُ عنها.

ولاحظ «أحمد» أنها قد استدارَت للخلف ... وظلَّت تتبع المرأة بعينها حتى اختفَت ... وهي تُغمغم قائلة: غير معقول ... غير معقول؟

وأثار «أحمد» ما تقوله ... فسألها قائلًا: ماذا حدث يا «إلهام»؟

إلهام: هل ستُصدقني؟

بلا أنف.

لم يصدِّق الشياطين ما قالَته «إلهام» ... وظنوا أنها مرهقةٌ بسبب عدم النوم ... إلا أنها أكَّدَت لهم أنها في كامل يقظتها ... فطلب منها «أحمد» أن تُعيدَ عليه وصْفَ ما رأَته ... فقالت له: كانت المرأة تقف بجوار الماء وقفةً معتدلةً ... أي وقفة رجل ... غير أني لم أهتمَّ ... حتى رأيت غطاءَ وجهها بحركة الهواء ... فآثرتُ أن أرى وجهها، وقد كانت تستدير لكيلا نراها ... فبعد الغطاء عن وجهها أكثر ... ورأيت وجهًا بلا أنف.

مصباح: إنه المخلوق الفضائي!

ولم يكَد «أحمد» يسمع روايتها ... حتى استدار بالسيارة ... وعاد من حيث أتى ... وصار قاصدًا النبع ... إلا أنه لم يَصِل لا إلى نبع ... ولا إلى أشجار. وظل هكذا في الصحراء ... سائرًا على غير هدى ... أكثر من ساعةٍ يبحث عن النبع والأشجار والكائن الفضائي المتنكِّر في زيٍّ بدويةٍ.

ومرة أخرى ... سمع صفيرًا متقطعًا ... أعقبه طنينٌ عالٍ ... فأسرع بإغلاق زجاج السيارة.

غير أنه ومن شدة الطنين ... سَمِع صوتَ انفجار زجاج السيارة ... وسقوطه شظايا على الطريق ... فقال لزملائه: سنهلك لا محالة ... إن عاد هذا الطنينُ مرةً أخرى.

فقال له «مصباح»: إن صوتَ الصفير كان قريبًا منَّا جدًّا ... وأظن أن رجلَهم لم يبتعد عن هذا المكان.

قيس: ولكن أين يختبئ ... فأنا لا أرى هنا مكانًا يصلح للاختباء!

أحمد: أنا أرى ما لا تراه ... ولو صدق هذا ... فسوف نحصل على الاثنين.

«عثمان» والرجل الفضائي.

إلهام: تقصد هذا المنحدر الخفي؟

أحمد: نعم أيتها اليقظة ...

إلهام: ولكن الدخول فيه قد يكون خطرًا!

أحمد: سنُجرِّب.

غادر «أحمد» السيارة ... وسط تساؤل الجميع ... ثم خلع العجلةَ الاحتياطية ... وقام بدحرجتها في اتجاه المنحدر ... فسارَت حتى وصلَته ... وأكملَت فيه سيرَها حتى اختفَت تمامًا ... ولم يسمعوا لها صوتَ ارتطام.

وأعجبَتهم الفكرةُ ... ووافقوه على نزول هذا المنحدر بالسيارة.

وبمنتهى الحذر ... سارَت السيارة على مهلٍ حتى ابتلعها المنحدر ... وللعجب أنها لم تقابل أية عثرات في الطريق ... فقد كان ممهدًا ... وكأن هناك مَن مهَّده.

وظلَّت السيارة تسير وسط دهشة الشياطين ... وظلام المنحدر ... فقد طال المسير ... ولم يصلوا إلى نهايته.

وبعد فترة ليست بالقصيرة ... ظهر عن بُعد ... بصيصُ ضوء ... وأخذ الطريقُ يعلو شيئًا فشيئًا والمنطقة المحيطة به تظهر أكثر ... حتى عمَّ الضوءُ المكانَ ... ونظروا حولهم ... فوجدوا أنفسهم وسط مزارع البطاطس الخاصة بالمقرِّ الكبير.

هل كان هذا الكائن يستدرجهم إلى المقرِّ ... أم أنه مختبئٌ هنا؟

إلا أن «إلهام» تساءلَت تساؤلًا آخر؛ حيث قالت: أيكون الفضائيون قد استدلوا على المقرِّ؟

وسؤال آخر طرحه «مصباح»؛ فقد قال: هل سنجد «عثمان» هنا؟

وخرج «قيس» بنتيجة واحدة ومهمة ... وهي أن ينتظروا خارجَ المقرِّ ... حتى يروا ما أسفرَت عنه الأمورُ بداخله ... فماذا لو أنه تعرَّض للاستيلاء عليه ... من الفضائيِّين؟

وكان عليهم أن يتأكدوا من صدْق ذلك أو كذبه.

فقرر «أحمد» أن يغادر السيارة، ويتوجه إلى جراجِ المقرِّ ... في حماية زملائه الذين سيبقون في السيارة ... ويتابعون عن بُعد.

وبخفةِ الفهد ورشاقته ... وسرعة الصاروخ ... جرى على أطراف أصابعه حتى بلغ مدخلَ الجراج. وما إن مرق منه حتى عاد سيرته الأولى.

وانتظر الشياطين خروجَه بالسيارة البراق كثيرًا ... غير أنه لم يخرج ... فنزل «مصباح» ... ومثلما فعل «أحمد» ... فعل هو ... وفي غضون دقائق كان بداخل الجراج.

وما إن رآه «أحمد» حتى فتَح له بابَ السيارة ... ونادى عليه.

وعندما ركب بجواره، سأله عن سببِ تأخيره وعدم خروجه ... فقال له: عندما ركبت السيارة ... وأدرت أجهزتها ... عرفت من الكمبيوتر الخاص بها ... أن المقرَّ يتعرض لهجوم شديد من كائنات فضائية بسبب ضياع عميلهم في الصحراء ... وهم يظنون أنه في المقرِّ ...

مصباح: ولماذا لم تخرج بالسيارة ... هل توجد كائنات منهم في الخارج؟

أحمد: لا ... ولكن المركبة الفضائية التي فجرَت سيارة «عثمان» ... ستقوم بتفجيرِ المقرِّ بعد ستين دقيقة.

مصباح: أي بعد ساعة؟

أحمد: نعم.

مصباح: وماذا سنفعل ونحن جالسان هنا؟

أحمد: نحن لن نظلَّ جالسين هنا ... فبمجرد حضورها سيكون لي معها شأنٌ آخر.

مصباح: هل ستُخبرني ماذا ستفعل؟

أحمد: أريد منك الآن أن تخرجَ مرة أخرى إلى المزارع ... ستجد ماسورةَ غاز طبيعي موصلة بخزان أرضي ... عليك أن تُغلقَ محبسها ... ثم تقوم بفكِّ الوصلة التي تربطها ببقية المواسير.

مصباح: وبعد ذلك؟

ورغم أنه لم يفهم ما يقصده «أحمد» من كل ذلك ... إلا أنه قام بتنفيذه كاملًا.

وما كاد يفرغ منه ... حتى سَمِع طنينًا عاليًا ... يأتي من بعيد ... ثم توقَّف للحظات ... ثم عاد مرة أخرى ولكنه أكثر شدة.

ولم تمرَّ لحظات إلا وكانت المركبة الفضية العملاقة ... تلمع في ضوء الشمس وتحجبه عن المقرِّ السريِّ.

ومن ثقبٍ صغير بقاعدتها ... امتدَّت ماسورة مدفع، ثم انطلق منه شعاعُ الليزر أصاب خزانَ المبنى ففجَّره ... وانهمر منه الماءُ كالسيل.

المعركة الفاصلة!

ماذا ينتظر «أحمد»؟ هذا ما قالَته «إلهام» من قلب السيارة ... أما «مصباح» ... فقد قال وهو جالسٌ بجوار ماسورة الغاز الطبيعي: هل سيستطيع «أحمد» أن يُواجهَ هذا الاختراع الجبار؟

ومن داخل السيارة البراق كان «أحمد» يتحيَّن اللحظة المناسبة للخروج والانقضاض على هذا الوحش المخيف.

ولكنه عاد وتساءل ... هل سيستطيع أن ينقضَّ عليه حقيقةً أم أنه سيفرُّ منه فرارَ الفأر من القط الشرس.

ومن رقم عشرة ... بدأ العد ... وعند رقم «صفر» ... ضغط زرًّا بالسيارة فانفتح باب الجراج ... ثم ضغط زرًّا آخر ... فزمجر محركُ السيارة زمجرةً قاسيةً ... ثم اختفى صوتُه تمامًا ... وعندما جذب عصا التوجيه سارَت إلى باب الجراج ... وعندما رفع العصا إلى أعلى ... انطلقَت السيارةُ في سرعة خارقة ... وفي اتجاه المركبة الفضية الفضائية.

وما إن صارَت خلفها ... حتى استدارَت لها ... وهي تُطلق أصواتًا كغمغمة الإنسان وكأنها تتودَّد إليها ... وأخذَت تدور حولها ببطء شديد ... وكأنها تتأملها والشياطين على أرضِ المقرِّ ... يتابعون ما يجري ... في قلق شديد.

وعلى حين غِرة ... فتحَت المركبة بابًا كبيرًا في بطنها ... وكأنه حيوانٌ شرس وتقدَّمَت من البراق تحاول ابتلاعَها.

ووجدها «أحمد» فرصةً لكي يُوقعَ بها ... أو يبتعد بها عن المقرِّ.

فأخذ يراوغها ... يمينًا ويسارًا وهي تُطلق أصواتًا لينة ... وكأنها تحاول أن تكسب ودَّها.

حوارٌ غريب بين الآلة والآلة، تابعَته «إلهام» في شغف وهي تجلس في سيارتها.

وبعد عدةِ محاولاتٍ ... بدأ صوتُ المركبة يعلو ... شيئًا فشيئًا ... ثم تغيَّر من اللين إلى الحدة ... وتحرَّكَت من الفتحة التي في بطنها ماسورة المدفع مرةً أخرى ... ورآها «أحمد» تُصوبها تجاهه.

وقبل أن يخرج شعاعُ الليزر من الماسورة ... كانت البراق تهبط إلى أسفل ... ثم تدور دورةً سريعة ... وتعود للصعود مرة أخرى ...

ومرة أخرى تُوجِّه المركبةُ الفضائية ماسورةَ مدفعها إلى البراق ... وقبل أن يخرج شعاعُ الليزر. كانت كرةٌ حديدية ... تخرج من فوهة أحد المدافع الموجودة بجسم البراق ... وتستقرُّ في فوهة الماسورة.

وتحمر الكرة ... وتحمر الماسورة ... ويخرج دخانٌ كثيفٌ ... ويعلو طنينُ المركبة وتتحرك في عصبية ارتفاعًا وهبوطًا.

ثم تبدأ في الانقضاض المباشر على البراق ... وتهبط البراق هبوطًا حلزونيًّا يُربك تفكير قائد المركبة الفضائية فيتردد في اتخاذ قرار المطاردة.

ومرة أخرى ترتفع البراق ... وتدور حول المركبة ... دورانًا سريعًا ... مما يُغريها بالانقضاض عليها.

ولكن ما إن يحدث ذلك ... حتى تهبط البراق هبوطًا حلزونيًّا مفاجئًا ومن خلفها المركبة الفضائية.

وشعر «مصباح» الذي كان يجلس بجوار محبس الغاز ... أن البراق سوف تسقط فوقه.

وقبل أن يهمَّ بالابتعاد ... سمع «أحمد» يقول له من خلال التليفون الذي كان مفتوحًا: افتح الغاز.

وقام «مصباح» بفتحِ محبسِ الغاز ... الذي انطلق إلى السماء في قوة.

وفي نفسِ اللحظة أطلق «أحمد» رصاصةً في فوهة الماسورة ... ثم ابتعد عنها تمامًا ... ليترك المركبة فوقها ... وقد اشتعل الغازُ وتحول إلى أتونٍ ملتهبٍ ... أصاب المركبةَ بأضرار فادحة ... مما جعلها تُصدر طنينًا مزعجًا ثم تُغادر المكان بلا عودة ...

وعندما نزل «أحمد» من البراق ... كان الشياطين جميعًا قد حضروا ومعهم «عثمان» الذي أخبرهم أن الكائن الفضائي على متن المركبة.

وعندما سأله «أحمد» قائلًا: ولماذا هاجمونا إذن؟

عثمان: كانوا يريدون سيارتهم.
أحمد: وأين هي؟
عثمان: في جراج المقرِّ …

هنـــداوي